الفصل الأول

البَدء، عودة للوراء

قبل الخوض فيما يُسَمَّى بـ «التنويم المغناطيسي»، والذي يختلف حوله الناسُ الآن، بين مؤيِّدٍ ومعارض، وبين معترفٍ به ورافض، وبين مقتنعٍ به كعلمٍ وعلاجٍ أو بين من يراه شعوذةً أو دجلًا، لابد لنا من عودةٍ للوراء أوَّلًا؛ لنلقي نظرة فاحصة، حتى يمكننا أن نستكشف - بدقة ووضوح - نبذة تاريخية عن هذا التنويم المغناطيسي، تجعلنا نجيد الحكمَ على هذا الموضوع فيما بعد، وفي كل زمان ومكان،من المعلوم بالطبع.

أن الكلب أضعف بِنيةً من الذئب، لكن نظراته وحركاته وإيحاءاته تؤثر على الذئب، فتشل مقاومته وتؤدي إلى انهزامه أمام الكلب.

كذلك نرى العصفور الواقف على غصن الشجرة، يتسمَّر حين ينظر إلى الحية، التي تتجه نحوه فتلتهمه، وذلك نتيجةً لتركيز بصره على عين الحية، التي تلمع فلا يعود يشاهد سواها، ولا ينتبه إلَّا إلى بريقها ولمعانها، فتتخدَّر عضلاته، ولا يعود يقوى على الطيران والفرار من الحية.

والطفل الرضيع، تستطيع أمّه أن تنوِّمَه وقتَما تشاء، وذلك بواسطة الغناء والهَدْهَدَة واللمس اللطيف الخفيف، في جوٍ هادئٍ.

كل هذه الأشياء لها اتصالٌ بموضوعنا، وهو التنويم المغناطيسي، ونعرف من ذلك أن التنويم المغناطيسي قديم، قِدمَ ظهور الحياة على ظهر الأرض، قِدم الكلب والذئب، والعصفور والحيّة، والطفل والأم،والحقيقة، فكل الفضل يرجع إلى أهل الشرق، لماذا؟! لأن أسرار هذا العلم منبعها الشرق العريق.

وليس بمفاجأةٍ أبدًا، أن تعود بدايات العلاج بالتنويم، إلى أبي الطب المصري القديم "أمحوتب"، وذلك سنة ٢٨٥٠ قبل الميلاد، حيث كان يستخدم في مدرسته الطبّيّة ومستشفاه

بمدينة "منف"، طريقة تشبه الإيحاء للوصول إلى المخزن السري، أو العقل الباطن، وذلك بأن يترك مرضاه ينامون، سواءً كان نومًا طبيعيًّا، أو في أعقاب تناول النباتات المخدِّرة أو المنوِّمة، ثم يجعل الكُهَّان يُردِّدون على أسماع هؤلاء المرضى النائمين، عبارات إيحائيةً لتتسلل إلى أحلامهم، وتلعب دورًا إيحائيًّا في حفزهم على التعافي، والشفاء من عِلَلِهم وأمراضهم، التي يعانون ويتألمون منها، ويرغبون في العلاج والخلاص من متاعبها.

والتنويم المغناطيسي كان يستعمله الكُهَّان في السيطرة على الناس، من أجل مصالحهم الشخصية طبعًا، فكانوا يمارسونه في معابدهم بسرية تامة، حتى إنه كان يُمنع استخدامه إلاَّ عن طريق هؤلاء الكهَّان، وكان الكهَّان لا يعلِّمون أحدًا إلا إذا كان يمارس الفنون القتالية بشكلٍ ماهرٍ جدًّا، وكان التدريب في الغابات أو في الجبال من دون أن يرى أحدٌ كيف هي تلك التمارين، وما هدفها، حتى إن التلاميذ كانوا يتعلَّمون أكثرَ من تمرين، ولكن الفائدة الحقيقة لا يعرفون أين هي،؟!

وبعد عدد من سنوات التمرين، قد تصل إلى عشرين سنة، ينكشف السر أمام هؤلاء التلاميذ المساكين ليعرفوا الحقيقة، وهي أنه كان من الممكن أن يتعلَّموا «علم الطاقة» خلال ستة أشهر، ويكون الواحد منهم مدرِّبًا ممتازًا.

ولكن هدف الكهَّان الحقيقي هو استغلال التلاميذ والناس، ليجعلوهم يعيشون في الوهم، على أنهم أبناء الآلهة، وأنها هي التي تعطيهم أسرار الطاقات والخوارق وعلاج الأمراض، ويُوهِمون الناسَ أن الآلهة تتكلم معهم، والهدف الحقيقي من كل ذلك، هو السُّلطة، والمال.

ففي هذه العصور القديمة كان يمارسه الإغريق والفراعنة، والعبرانيون والرومانيون والهنود والصينيون والعرب والأفارقة، وتوجد رسومات بمدينة مصرية "للآلهة موزيس" المرسومة وأمامها صبيٌّ قد وضعت يدَها على وجهه كأنها تُنوِّمه.

وعند الهنود في القديم كان له عناية كبرى، فتراه مصوَّرًا في معابدهم بصورةٍ تمثِل الآلهة التي يعبدونها، فهم صوَّروا آلهتهم واللهَبُ يخرج من بين أصابعها، وهي الحالة التي يراها المتمرِّس بعلم الطاقة، حيث يرى اللهب خارجًا من يده، فوْرَ رؤية المريض.

وقد اتفق الحكماء اليونانيون وفلاسفتهم على ذلك، وكان أكثرُهم يداوي المرضى بطرق التنويم والإيحاء، وهي إحدى طرق الطاقة وخواصها.

وكان هذا العلم معروفًا أيضًا عند الكهَّان العرب وغيرِهم، فهم كانوا يأتون بأخبار المستقبل، بمجرد توجيه الطاقة إلى الوسيط.

وأيضًا ثبت أنه كان يُستعمل ببراعة عند الفراعنة، وقد برعوا به أيَّما براعةٍ، حتى كانوا يمغنطون الأشجار والحجارة، ويخصصون لها فوائدَ كثيرة طبعًا، مع بعض الإيحاء إلى مرضاهم، وقد قيل: إنه وجدت شجرة بمصر.. مكتوبٌ عليها بالخط القديم: أنها لشفاء الأمراض، وكان الناس يأتونها للاستشفاء فتذهب آلامُهم لوقتها، وطبعًا العقيدة بهذا الأمر، هي التي كانت تساعدهم على الشفاء.

الطاقة في الهند عمرها ٥٠٠٠ سنة، وقد تحدَّثت التقاليدُ الروحيّة الهندية القديمة عن طاقة كونية، أسمَوها (برانا PRANA)، ويعتقدون أن هذه الطاقة، هي أصل الحياة، وهي الروح التي تسكن في جميع الكائنات لتعطيها الحياة.

إذن، عُرف التنويم منذ القِدَم، فقد مارسه المصريون والهنود والكِلْدانيون والبابليون، وانتقل منهم إلى اليونان والرومان وغيرِهم من الشعوب في المراحل التاريخية المختلفة، وامتزجت العقائدُ الدينية بالطقوس العلاجية البدائية، فكان عندهم العلاجُ بالمسح بالأيدي، والتفوُّه بكلماتٍ غامضةٍ مُبْهَمةٍ، والإتيانُ ببعض الحركات الغريبة، التي اشتهر بها بعضُ الكهنة والأطباء المصريين القدماء. فمن أقدم العصور والتنويمُ يُمارَس حتى إنه دخل في كثيرٍ من الطقوس الدينية.

وهذا ما أكّده علماءُ الآثار المصرية، فقد عُثِرَ على نقشٍ أثريٍّ يونانيٍّ يعود تاريخُه إلى سنة ٩٢٨ ق.م، يظهر فيه (شيرون) الطبيب الذائع الصيت وقتَئذٍ، وهو ينوّم تلميذه (أسكيلابيوس)، وقد عُثِرَ على الكثير من المخطوطات الفِرعَونيّة، وفيها مشاهدُ عن أُناسٍ في أوضاع لايمكن وصفها إلا بحالات الغَشْيَة التنويمية.

وفي أساطير الإغريق امرأةٌ شعرُ رأسِها ثعابين، كانت تجمِّد الرجال الذين يرونها وتلهي عقولهم، وفي أساطير البحار حوريات كُنّ يسحرن البحَّارةَ بأغانيهن. أمّا فقراء الهند وسحرة الفرس فإنهم يُغرقون أنفسَهم في نومٍ عميقٍ ليصلوا إلى «الصفاء»، ويحصلون على قوى فوق طبيعية، وتخدِّر شعوبُ القبائل البدائية أنفسَها بالغناء والرقص كـ(الزَّار) ليغيبوا عن الواقع جماعيًّا، إلخ .

ولذلك يُعتبَر التنويم المغناطيسي أو الإيحائي، من أقدم طرق المعالجة النفسية عبر التاريخ، فالعائلة الملكية في مصر الفرعونية استخدمته لمعالجة حالات الاكتئاب، الناتجة عن الأمراض، وكان للمعالجين سُمعةٌ ومكانةٌ كبيرةٌ في مصر القديمة؛ لأنهم كانوا يدَّعون إمتلاكهم لقوًى خارقة، تساعد في شفاء الناس من خلال الإيحاء.

كما لعب التنويم المغناطيسي دورًا مهمًّا لدى الهندوس القدامى، حيث كانوا يكرِّسون نوعًا من المعابد، تسمَّى بمعابد التنويم لهدف معالجة الأمراض، التي لم تنجح فيها طرق الشفاء التقليدية آنذاك.

واكتشف علماء الآثار كتابًا قديمًا بعنوان (قانون مانو)، الذي أورد ثلاثة مستويات مختلفة من التنويم المغناطيس، وهي: النوم في حالة النشوة، والنوم العميق، والمشْي خلال النوم،وقد أُهمل التنويم فترة طويلة رغم ما يقدمه من فوائدَ عظيمة للمجتمع، الذي يظهر فيه. وبسبب هذا الإهمال لم يبدأ التنظير العلمي لتلك الحالة من الغَشية، إلا في بداية التاريخ الحديث،والسؤال يطرح نفسَه بإلحاح، بما أن التنويم مساعدٌ فعّالٌ في الطب، فلماذا أُهمِل كلَّ هذه المدة،؟!

الجواب: هناك عاملٌ مهمٌ ومطَّرد يرافق تطورَ جميع العلوم: الخرافة تسبق المعرفة، وهكذا نجد أن التنويم هو سابق علم الفلك الحديث، وأن كيمياء السحرة سبقت الكيمياءَ الحديثة، والتطور من الساحر المداوي إلى الطبيب تطلَّب قرونًا.

والتنويم بمعناه الجديد المتطوِّر استُعمل في الشرق تحت أسماء ولُبُوس مختلفة؛ ففي (التيبت) دلَّت الأبحاث على أنه استُعمل في كثير من المجالات، أهمها تلقين العلوم السرية للتلاميذ المختارين، وذلك توفيرًا للوقت والجهد، وضمانًا لعدم تسليم هذه العلوم لعامة الشعب من خلال الكتب، فحافظة النائم تصبح كالعقل الإلكتروني.

ثم ازدهر التنويم في أوروبا مع بداية القرن الثامن عشر، وظهر كعلم جديد متمتعًا باحترام مؤقَّت، حين فشل الطب في مقارعة تحدي أمراض العصر الصناعي الجديد، حتى قيل بأن الطب يقتل أكثرَ مما يَشفي.

وهكذا، فقد تحول كثير من الناس إلى الدجّالين والمشعوذين طلبًا للشفاء، وهذا ما دفع بحفنة من الأطباء للسير خارجَ الطريق المستقيم، بحثًا عن وسائل علاجية لكل الأمراض، لعلهم بذلك يستردون مرضاهم، فشاع استعمالُ المغناطيس في مداواة الأمراض.

إذ أعلن القسّ الفرنسي (لونوبل) عن طريقة ابتكرها للمعالجة، وذلك بتدليك الجزء المصاب بقطعة من المغناطيس، وكانت النتائجُ الشفائية مشجِّعةً، كما أن القسّ اليسوعي (هل) لجأ إلى نفس الطريقة.

وقد غاب عن بال القِسَّيْن حقيقيةُ الشفاء وسببه، فلم يكن لحجر المغناطيس أي أثر فعال، فهناك ثلاثة عوامل مهمة رافقت عمليةَ الشفاء:

- **أوَّلًا**: استعداد وتصميم المريض على الشفاء.
- **ثانيًا**: وصوله ذاتيًّا إلى حالة الغَشية نتيجةً لدوافعه القوية.
- **ثالثًا**: الإيحاء،

لابد من الرجوع إلى الوراء لتأكيد وجهة النظر القائلة، بعدم فعاليَّة المغناطيس في إحداث الشفاء.

فهناك رأيٌ للطبيب العربي المسلم (ابن سينا)، يقول: بأن قوة الفكر قادرةٌ على إحداث المرض والشفاء منه، وأن للفكر قوةً مؤثرةً ليس على جسم الفرد نفسه، بل على أجسام الآخرين، وأحيانًا يحصل هذا التأثير عن بُعد، ويعتقد (ابن سينا) أن هذه القوة تُحدث المرَض، كما أنها تستطيع الشفاء بـ«إرادة الله».

وبعد بضع مئاتٍ من السنين، جاء الفيلسوف (بومباناثيوس)، مُصدِّقًا لأفكار (ابن سينا)، ومؤكِّدًا على وجوب استعمال المُخَيِّلة للحصول على أفضل النتائج.

ولن ننسَ أن. نضيف ما قاله الطبيب (براسلسوس): من أن الفكر يمكن أن يُسبِّب المرض والشفاء على حدٍّ سواء.

ويحضرني في هذا المقام القولُ الشعبي: لاتسمم بدنك، أي لاتعكِّر مِزاجك، لئلَّا ينعكس ذلك على صحتك.

واستنادًا إلى نظرية قوة الفكر في إحداث المرض والشفاء منه، يحق لنا الأخذ بعين الاعتبار والجديّة ما دَوَّنه (تاسيتوس) عن (هيبوقراط): «بينما كنت أربت على أجسام مرضاي ملاطفًا، غالبًا مابدا لي كأن هناك خاصيةً غريبة في يدي، تشد وتخرج الأوجاعَ من الأجزاء المصابة، وذلك يحصل بوضع يدي على المكان المصاب، وبمد أصابعي نحوها، وذلك ليعرف المتعلِّم، أن الصحة يمكن أن تُفرض على المريض بحركات معينة، وبالاتصال تمامًا كما ينتقل المرض من إنسان لآخر».

- **وهنا نقف أمام فكرتين:**
- **الأولى**: تقول هذه الفكرة، بأن قوة الفكر، المُخَيِّلة تحدث المرض والشفاء .
- **الثانية**: تقول بأن المغناطيس كمعدن يحدث الشفاء.

أما الحقيقة، فهي: أن الإيحاء والاستعداد لتقبُّله، والرغبة القوية في الشفاء هي عواملُ مؤثرة على عملية الشفاء، إذ إن للفكر قوةً وسيطرةً غريبةً في إحداث المرض والشفاء وقد صدَق (ابنُ سينا).

وبالرغم من وجود هذه الأفكار والممارسات والتجارب، فلم يقدِّم الغرب بحثًا جادًّا في هذا المجال، إلا في القرن السادس عشر عندما بدأ الفيلسوف الفنلندي (فان هلموت) بدراسة السائل المُشعّ من الإنسان، وقال: إن الفكر من خلال هذا السائل، يؤثر على الجسد بفعل الإرادة، وقد أيد نظريةَ المغناطيس، قائلًا: أنها ليست جديدة، وهو موجود أينما كان.

وفي اليونان، اشتهرت بعض المؤسسات المتصلة بمعبد (اسكولاب ESCULAP)، إله الطب عندهم، بمعالجة المرضى بواسطة الرُّقاد والنوم، وكان ذلك يتم بواسطة إدخال المريض اصطناعيًّا، في حالة نُعاس كُلِّي، فيصبح هنا شديدَ التأثر بالإيحاء، مما يساعده على الشفاء من أمراضه.

وللأسف، بعد تلك البدايات الواعدة لهذا العلم في عمق التاريخ، تسلَّم شأنَه، وتولى زمامَ أمره فيما بعد، السحرة والدجالون والمشعوذون، ولذلك فقد خلطوه بالسحر والخرافات والخُزَعْبَلات.

ثم عاد العلاج بالتنويم ليحتل مكانَه من جديد، عندما نشأت فكرةُ المغناطيسية البشرية على يد الطبيب السويسري (باراسيلسوس Paracelsus 1541 – 1493م)، الذي كان يؤمن بأن النجوم من خلال طبيعتها المغناطيسية تؤثر في البشر.

ولقد استنتج باراسيلسوس من ذلك – حسب اعتقاده – أن أيَّ مغناطيس، يمكن أن يؤثر في الجسم البشري، من خلال تلك الانبعاثات غيرِ المرئية، التي تصدر من المغناطيس وبعد ذلك بعدة عقود من الزمن . أضاف (فان هلمونت Van Helmount – 1644 ـ 157 م)، مفهوم المغناطيسية الحيوانية، والتي يرى بأنها تنبعث من الجسم البشري ذاته، فتؤثر في أجسام وعقول الآخرين، ولقد أدى ذلك إلى انتشار المعالجين المغناطيسيين في أوروبا لفترة

طويلة، والذين حقق بعضهم نجاحًا ملحوظًا، في بعض الحالات التي عالجوها، مما أدى بالتالي إلى انتشار تلك الطريقة العلاجية، وإقبال الناس عليها بشكلٍ كبير.

ورغم ما حققه الطبيب السويسري (بارسيلسوس) و (فان هلمونت)، إلا أن التاريخ الحديث للعلاج بالتنويم المغناطيسي، ينسب البدايات الحقيقة لهذا العلاج إلى الطبيب النمساوي، (فرانز أنطون مسمر ١٧٣٤ – ١٨١٥م)، الذي كان يعمل في فرنسا، وكان متخصصًا في دارسة تأثير الأجرام السماوية على الحياة البشرية، إلا أنه أصبح فيما بعد مهتمًّا بدراسة ظاهرة المغناطيسية.

من هو «مسمر»؟!

ولد (فريدريك أنطون مسمر) سنة ١٧٣٤م، من عائلة ثرية في ايزنانج على ضفاف بحيرة كونستانس في ألمانيا، قرَّر والده إلحاقَه بالكنيسة ليصبح قِسًّا، وعلى هذا الأساس تعلَّم في الدير، وبعدها دخل كلية يسوعية، لقد أظهر ميلًا شديدًا للعلوم، خصوصًا الرياضيات والكيمياء وعلمَ الفلك؛ لذا قرر بأن يكون الطب هو هدفه، وليست الكنيسة.

دخل كلية الطب في جامعة فيينا، وفي سنة ١٧٦٦م حصل على الدكتوراة، إثْر تقديمه أُطروحته الشهيرة التي كانت بعنوان «تأثير الأجرام السماوية»، لقد خلقت نظريتُه عن المغناطيس الحيواني اهتمامًا كبيرًا، ومن الذين اهتموا بها الأب اليسوعي (هل)، الذي كان أستاذ علم الفلك في جامعة فيينا، وفلكيَّ بلاط الإمبراطورة (ماريا تريزا).

وسبب هذا الاهتمام يعود إلى أن القس (هل)، كان يستعمل المغناطيسَ في مداواة المرض، والنتائج التي حصل عليها كانت إيجابيةً، ولقد أعطي بعضَ قطع المغناطيس لمسمر ليستعملها، هنا أدرك مسمر التشابهَ في الاجتهادات، وحاول استعمالَ المغناطيس بنفسه، وحصل على نتائجَ شِفائية مُرضية جدًّا، بعد أن أضاف لمستَه الشخصية، وسُرعان مانشرت الصحف أخبارًا مثيرةً عن نجاحه في شفاء حالات ميئوس منها.

الهرب من فيينا !

أمَّا لماذا هجر فيينا، وهو الطبيبُ الناجح، فهذا غير مؤكَّد، ربما كان السبب تدخُّلَ الكنيسة، أو أن إمبراطور النمسا اعترض على تصرفاته.

على كلٍّ، فإن باريس حاضنةَ الفكر الحر قدمت له الملاذ، حيث استطاع متابعة اختباراته متحرِّرًا من تدخل الكنيسة والدولة، والغيورين من الزملاء، فكان نجاحه منقطع النظير، فالآلاف من المرضى أرهقت الدربَ المؤدي إلى منزله، الذي أصبح مضربَ الأمثال.

وهكذا، أصبحت المسمرية حديثَ الصالونات، ومع نمو شعبيته كان لابد من ابتكار وسيلة علاجية جماعية، للتعامل مع الحشود المكتظة طالبةِ الشفاء.

وقد قدم نظريتَه الخارقة عن فعل المغناطيس، والتي تتلخص في أن مجال الكون مليءٌ بسائلٍ مغناطيسي، وبأنه كالكهرباء يمكن خزنُه وتوزيعه.

الماء المغنَط !

لهذه الغاية صنع مسمر وعاءً خشبيًّا ضخمًا، تتدلى منه قضبان حديد، كان هذا الوعاء يُملأ بالماء الممغْنط، وذلك بعدما اقتنع بوجود السائل المغناطيسي في جسم الإنسان، وأنه من الممكن تحويلُ هذا السائل من جسمه إلى جسم مرْضاه، وأنه بالإمكان خزنُه في الجمادات، وبمجرد أن يلمس المريضُ الماءَ أو المعدن الذي مغنطه مسمر، يحصل على نفس النتيجة وكأنه لمس مسمر نفسَه.

المعالجة العجيبة !

أما كيف تحصل المعالجةُ الجماعية، فهذا ما يدعو إلى الاستغراب والدهشة، ففي غرفة إضاءتُها خفيفة، وعلى أنغام موسيقى جهَّزها لهذه الغاية، وبتأثير القضبان الحديدية المتدلية من المغطس، كانت القضبان توضع على أجزاء مختلفة من جسم المريض، وكان المشهد غريبًا، ويتكرَّر كلَّ يوم:

ضحكات ساخرة، أنينٌ يُرثى له، وشلَّالات من الدموع تنفجر من كل الجهات، والمرضى يرتدُّون إلى الخلف بحركات تشنُّجية، وأنفاسهم أشبهُ بحشرجات الموت،

والأعراض المرضية المرعِبة تَهز الناظرَ، وفجأة يندفع فريقٌ نحو فريق بجنون عاصف، إما ليتعانقوا فرحًا، وإما ليدفعوا مَن حولهم والذعرُ مستبِدٌّ بهم.

غرفة النساء!

أما الغرفة الثانية فتقدم عرضًا آخرَ، الجدران هنا مبطَّنة والنساءُ يضربن رؤوسَهن بالحائط، ويتدحرجن على الأرض المغطاة بالوسائد بنَوبات اختناق، ووسط هذه الزحمة والارتعاش واللُّهاث، يدخل مسمر بردائه الليلكي متجوِّلًا، متفقِّدًا الجميعَ، وكان يتوقف أمام أكثرهن هياجًا، ليمسك يديها بكلتا يديه متفرِّسًا في وجهها بتركيز، محْدِثًا الاتصالَ بينه وبينها بواسطة أصابع اليد، ومن ثَمَّ – وبحركة مسرحية – يرفع يديه في الهواء ويمرِّرها فوق جسد المريضة علامةً على انتهاء المعالجة

وكان لمسمر مساعدون يعاونونه في إيصال المرضى إلى النوبة التشنُّجية، بالحركات التمريرية والنظرات المركزة.

ونلاحظ هنا أمورًا ثلاثة:

١ – التماسك بالأيدي لإحداث الاتصال المباشر.

٢ – الحركات اليدوية التمريرية.

٣ – النظرات المركَّزة.

من الملاحظة السابقة نكتشف أن المسمرية أخذت طابعًا مميزًا لها، وهذه الطريقة انتقلت إلى ممارسي التنويم، حتى إن الكثيرين لازالوا يستعملونها، فهل لهذه الحركات أي تأثير في إحداث التنويم؟!

خلق نجاح مسمر هياجًا في فيينا؛ فلقد تسبب في شفاء مدير أكاديمية ميونخ للعلوم من الشلل، وإعادة بصر أستاذ آخر. ومع كل ذلك حزَّ في نفسه عدم احترام الزملاء له، وهو الذي حضَّهم على فحص اختباراته لكنهم لم يفعلوا.

الهجرة من باريس!

وبعد انتشار طلاب مسمر وتطبيقهم لطريقته، ثارت عليه الحكومة الفرنسية، وتم تشكيل لجنتين منفصلتين لتقصِّي المعالجة المسمرية، وتألفت الأولى من خمسة أعضاء كلهم من أكاديمية العلوم، والثانية من عضوين من الجمعية الطبية الفرنسية.

قامت اللجنتان بتقديم تقريرهما، الذي فنَّد طريقة مسمر، وما أسماه مسمر بالمغناطيسية الحيوانية، وقالت اللجنة: وجدت اللجنة أن هذا السائل، لا فعلَ له لا على المحقِّقين من الأعضاء، ولا على المرضى.

وأخيرًا، فإن اللجنة قد أظهرت بواسطة تجارب حاسمة، أن الخيال - وفي معزل عن المغناطيس - يحدث شيئًا؛ أي أن الخيال هو كل شيء، والمغناطيس ليس بشيء.

كما زاد الطين بِلّةً بالنسبة لمسمر وطريقته، إقدام أحد أعضاء اللجنة واسمه (بيلي)، على تقديم تقرير للملك (لويس) جاء فيه:

إن النساء اللواتي يقوم الرجال بتنويمهن مغناطيسيًّا، يملكن الإغراء الكافي للتأثير على الطبيب، كما أنهن يتمتعن بالصحة الملائمة لتمكينهن من التأثر بالطبيب.

وهكذا، فإن الخطر المتبادل، والقرب المستمر، والتماس الجسدي - الذي لابد منه - وانتقال الحرارة من الواحد للآخر، والنظرات المتبادلة هي طرق الطبيعة المألوفة، وهي الوسائل التي هيأتها للتسهيل - بشكل موثوق به - من قيام الصلة بين الرغبة والإحساس، ولا عجب لذلك أن تلتهب الأحاسيس.

وخلص التقرير بأن قال: إن العلاج المغناطيسي لايمكن لذلك إلا أن يكون تهديدًا للأخلاق، وقد كان لهذه الإدانة الأخلاقية مع ما ورد في تقرير اللجنتين، ما يكفي لإجبار مسمر على الهجرة من باريس.

وهنا، خابت أماله فقرَّر العودة إلى بحيرة كونستانس، حيث بقي لآخر أيام حياته مكرِّسًا وقته وجهدَه لمعالجة الفقراء، وأثناء وجوده في كونستانس دُعي لزيارة برلين من قبل

ملك البروسيين، لكنه عزف عن الذهاب، فأرسل الملك الدكتورَ (كارل أولفارت)، ليدرس الوسائل العلاجية الجديدة على يد مسمر، ولدى عودته عُيِّن الدكتور أولفارت أستاذًا للمسمرية في أكاديمية برلين، ومسؤولًا عن المستشفى المغناطيسي فيها، ولقد أصبح هذا المستشفى مقرًّا لتعليم المسمرية، فأَمَّه الكثيرُ من الأطباء في أوروبا ليدرسوا هذه الطريقة وتوفي مسمر في ١٥ مارس سنة ١٨١٥م، وخلَّف وراءه علمًا جديدًا، وتلاميذ له متحمسين.

آثار الشهرة !

وكان مسمر قد لاحظ في البداية أن تعريض المريض للمغناطيس، يؤدي إلى تخفيف شكواه بدرجة كبيرة، لكنه اكتشف – فيما بعد – أن المغناطيس لم يكن ضروريًّا لحدوث ذلك الأثر العلاجي، فقد كان يكفيه أن يحدث ذات التأثير من خلال لمس المريض، أو لمس الماء الذي يجلس فيه المريض بواسطة قضيب من الحديد.

ومن ذلك فقد استنتج مسمر، أن القوة لم تكن في المغناطيس وإنما في ذاته، مما أدى إلى قناعته بما يسمى (المغناطيسية الحيوانية)، والتي يرى أنها عبارة عن سائل غير مرئي، يستطيع أن يختزنه في جسده وأن ينقله إلى الآخرين.

ورغم اكتشاف مسمر، أن القوة لم تكن في المغناطيس، وإنما في ذاته، إلا أن المرضى كانوا مقتنعين أن القوة في المغناطيس، ومع ذلك يتحقَّق الشفاء.

وهذا يدل على أن قناعة المريض بنفع شيء ما، رغم عدم نفعه حقيقةً، قد يؤدي إلى آثار إيجابية؛ ولذا فإن استشهاد بعض المعالجين بالقرآن، بأن المريض ليس به علّة من خلال إيهامه بالعلاج بالقرآن، وهم يقرؤون عليه شعرًا أو سواه، فيتماثل المريض للشفاء حقيقةً هو استشهادٌ غيرُ صحيح؛ وذلك لأن قناعة المريض بأنه سينتفع من هذا العلاج، الذي يظن أن القرآن هو قوة شفائية بحد ذاتها بإذن الله.

وحينما ذاع صيت مسمر وعمَّت شهرتُه الأرجاءَ، توافدت عليه أعداد كبيرة من الناس.. طلبًا للشفاء من أمراضهم، فاضطر إلى عمل جلسات العلاج الجماعي، حيث جعل

وعاءً كبيرًا، وملأه بالماء وبُرادة الحديد، وعددًا من القضبان الحديدية، وأجلس مرضاه حول هذا الوعاء جاعلين تلك القضبان الحديدية، على الأجزاء العليلة من أجسامهم، ويقوم هو بالمرور من حولهم ويلامسهم بيده، ليمدهم بقوته المغناطيسية التي يعتقد بها.

ولعل لجوء مسمر إلى العلاج الجماعي، يذكِّرنا بفعل بعض المعالجين بالقرآن، فما إنْ يشتهر بعضهم حتى يلجأ إلى علاج الناس في مجموعات، فيما يسمَّى بالرُّقْية الجماعية، ربما طلبًا للمزيد من حطام الدنيا، رغم فتوى بعض علماء الشريعة الإسلامية، بعدم مشروعية هذا اللون من العلاج بالقرآن.

ولم تكن جلسات مسمر العلاجية – في الحقيقة – سوى مجموعة من الإيحاءات الضمنية التي تؤدي إلى استرخاء المريض، وقناعته بقدرات المعالج بالمغناطيس، وتوقعه لحدوث تغيرات مفاجئة.

ولقد نُسبت هذه الطريقة العلاجية إلى مسمر، وسميت باسمه "المسمرية، Mesmerism"، حيث إن مصطلح التنويم المغناطيسي، لم يكن معروفًا في ذلك الحين.

وقد كان يعتري مرضى مسمر، أثناء تلك الجلسات العلاجية حالاتٌ مماثلة لما يسميه العلماء المعاصرون بـ (الأزمة النيمية، Hypnotic Crises)، والتي كانت تُسَمَّى الأزمة المسمرية، وهي تلك الحالات التي يتغير فيها وعي المرضى، وتعتريهم نوباتٌ من البكاء وربما الضحك، وقد يغيبون عن الوعي في بعض الأحيان.

ولو أمعنّا النظر هنا لوجدنا أن هذه الحالات، لا تختلف كثيرًا عن بعض ما يحدث لبعض المرضى، عند بعض المعالجين بالقرآن.

ورغم خطأ نظرية مسمر في تفسير سبب شفاء المرضى، إلا أنه قد أوضح – بجلاء – دور العلاقة بين المعالج والمريض في حدوث الشفاء.

ولقد اختلفت وجهات النظر حول الطريقة المسمرية في العلاج، كما لوحظت بعض السلوكيات المنافية للحشمة، التي كان يمارسها مسمر أثناء العلاج، حيث كانت طريقته

العلاجية تستدعي لمسَ أجساد المرضى، والذين يكونون أحيانًا كثيرة من النساء، مجرد ملامسة للكتف أو الرأس مثلًا، لكن ذلك لم يكن مقبولًا على الإطلاق في أوروبا في تلك الفترة من الزمن !!

ولذلك كانت النتيجة الطبيعية، أن استدعى الأمرُ تكليفَ الحكومة الفرنسية في عام ١٧٨٤م مجموعةً من العلماء للنظر في الطريقة المسمرية في العلاج، ولقد قام أولئك العلماء، ومنهم (أنطون لافوازيه) عالم الكيمياء المشهور، بالعديد من التجارب التي لم تستطع أيٌّة منها، إثبات وجود المغناطيسية الحيوانية التي يزعمها مسمر، وإنما لاحظوا أن قناعة المرضى واعتقادَهم بقدرات المعالج، هي السبب الأساسي في حدوث الآثار الإيجابية للطريقة المسمرية.

ونلاحظ في هذه الأيام، أن بعض المعالجين بالقرآن – وإن كانوا قِلَّةً – يلمسون بعض المواضع من جسد المريض أو المريضة، كالرأس والنحر بشكل خاص، دون وجود حاجة لذلك، كما نلاحظ في الوقت نفسه ضجرَ بعض المصلحين، وأهل الفضل والعلم من هذا السلوك، بل وتدخّلَ بعض الحكومات في العالم الإسلامي بحزم، لمنع مثل هذه التصرفات المشينة.

وعلى العموم فلقد اعترفت اللجنة العلمية، بالأثر الفعَّال للطريقة المسمرية في العلاج لكنها رفضت تمامًا النظريةَ التي يفسر بها مسمر حدوث ذلك الشفاء، بل واعتبرت ما يمارسه إنما هو نوع من الدجل والشعوذة؛ وذلك لأن دور الإيحاء أو أي أسباب نفسية أخرى في شفاء الأمراض، لم تكن مقبولةً علميًّا، حيث إن العلم آنذاك لم يكن يقبل سوى الأسباب المادية، لتفسير الأمراض والعِلَل، على عكس كثيرٍ من أفراد المجتمع الذين يميلون للإيمان – بتطرف – بالأمور الغيبية غير المحسوسة أيًّا كانت.

وكذلك الأمر بالنسبة لمسمر، فهو من ذلك الجيل من العلماء، ولذلك فإنه لم يقدم نظريته بأن أسبابًا نفسيّة، تكمن وراء شفاء بعض الأمراض، وإنما لجأ للمغناطيس كسببٍ ماديٍّ يُفسّر به ما يشاهده.

ولعل التاريخَ يعيد نفسه ثانية، فنجد أن كثيرًا من المثقفين في دول العالم الثالث، يقبلون الأسبابَ المادية فقط، لتفسير الظواهر التي يواجهونها، وهو أمرٌ يحتاج إلى إعادة نظر، في حين أنه على النقيض من ذلك، تغرق شعوبهم في الإيمان بالخرافات والأساطير، وكذلك ببعض الغيبيّات مما لم يأمر به الدينُ وترفضه الفطرةُ السليمة.

ورغم إيماننا بخطأ مسمر في تفسير مشاهداته، إلا أن قرار اللجنة العلمية – بأن عمل مسمر، يقوم على مجموعة من التخيُّلات، ولذلك فلا داعي لإجراء المزيد من الأبحاث حوله – هو خطأ أيضًا؛ وذلك لأن تلك اللجنة العلمية قد تجاهلت ما اعترفت به سلفًا، من شفاء الكثير من مرضى مسمر، وما كان قرارهم ذلك لشيء إلا لأن نظرية مسمر التي يفسر بها شفاء مرضاه لم تكن صحيحةً.

ولعلنا نستنتج من ذلك، أن حدوث نتائج إيجابية عند استخدام طريقة علاجية معينة ليست بالضرورة دليلًا على صحة النظرية، التي يفسر بها مستخدم تلك الطريقة العلاجية، سببَ حدوث ذلك الشفاء.

المعالجون بالقرآن !

وكذلك الأمر بالنسبة للمعالجين بالقرآن، فعندما يتحسن مريض عند علاجه بالضرب، فليس بالضرورة أن يكون تفسير الرَّاقي أو (المعالج بالقرآن) صحيحًا، بأن المريض كان مُتلبّسًا به جنِّي خرج بسبب الضرب.

وكذلك أيضًا عندما يتحسن مريض عند العلاج بالقرآن، فليس بالضرورة أن يكون تفسير الرَّاقي صحيحًا، بأن المريض كان مسحورًا أو مصابًا بالعين – وإن كان ذلك أمرًا ممكنًا – وإنما قد يكون به أيّة علّة، أراد الله أن يكون شفاؤها بالقرآن.

ولعل الحالة التي نمرّ بها هذه الأيامَ، حول استخدام القرآن في العلاج تذكِّرنا بحال الناس واختلافهم، بشأن العلاج بالمغناطيس زمنَ مسمر رغم اختلاف المنبع، فالعلاج بالقرآن توجيه رباني، والعلاج بالمغناطيس نتاج بشري.

ولذلك فيجب على الراقين – في نظري – أن لا يقعوا في مثل ما أخطأ فيه مسمر، في ضرورة تقديم سبب محدَّد لحدوث الشفاء، وتفسير ما حدث للمريض، بأن ما كان به هو سحر أو عين حاسدة أو جِنّ؛ لأن الناس قد يختلط عليهم الأمرُ فيرفضون العلاج بالقرآن، وهو علاجٌ صحيحٌ، بسبب عدم قناعتهم بالتفسير المُقدَّم من لدُن المعالجين بالقرآن، لتعليل حدوث ذلك الأثر، وهو تفسير قابل للخطأ والصواب.

وفي المقابل أيضًا يجب أن لا يقع المصلحون وأولوا الأمر في البلاد الإسلامية في مثل ما أخطأت به اللجنة العلمية والحكومة الفرنسية زمنَ مسمر، فيرفضون العلاج بالقرآن لسببٍ أو لآخر، كتجاوزات بعض الراقين وأخطاء البعض الآخر منهم مهما بلغت، إذ على ولاة الأمر أن يعتبروا أصل المنهج العلاجي، وهو علاجٌ صحيح، ويضعوا لجانًا متخصصةً لا لتكفير أو تجريم الراقين فحسبُ كما هو حاصل، وإنما لمحاولة تقديم العلاج بالقرآن في خطوات عمليّة، مؤصَّلة بضوابط الشرع، ومدرِكة لمدى الحاجة الشديدة لدى الناس لمثل هذا اللون من العلاج.

ولقد أدى انتشار تقرير اللجنة العلمية حول الطريقة المسمرية، إلى تدني سمعة مسمر بين الناس، مما اضطره إلى مغادرة باريس، لِيَموت فقيرًا مُعدمًا في سويسرا عام ١٨١٥م.

ولقد كانت الخطوة الأكثر تميُّزًا في تاريخ التنويم المغناطيسي في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي على يد الجراح الأسكتلندي (جيمس برايد)، الذي لاحظ أن العامل الفعَّال في الطريقة المسمرية يكمن في تركيز انتباه المريض على أمرٍ مُحدَّد Monoideism يؤدي – بدوره – إلى حدوث حالة من النعاس.

المركيز دي بويسيكور!

(المركيز دي بويسيكور)، هو من تلاميذ مسمر، وقد أولى المسمرية اهتمامًا بالغًا، وقد اكتشف أن النوبة التشنُّجيّة، التي اعتبرها مسمر أساسًا في إنجاح العلاج لم تكن ضرورية، وماهي إلا حركات مقتبسة، ويمكن الاستعاضة عنها بحالة النوم الهادئ المريح «التخشبي»،

وهكذا، بعد موت مسمر تقلَّص البحث في السائل المغناطيسي، فطُويت صفحاته وبرزت (السرنمة)، لكن العلم الحديث أعاد فتح هذه الصفحات وعلى أسس جديدة.

كان المركيز (دي بويسيكور)، يعيش أيام اعتزاله في قصره قرب سواسون، وقد جعل المسمرية تسليتَه المفضَّلة، فكان يطبّقها على بعض الفلاحين بغيةَ معالجتهم، ولإجراء المزيد من التجارب.

وذات يوم لفتت نظره ظاهرةٌ غريبة، لم تكن معروفة منه أيام تعاونه مع مسمر، فقد أصيب أحد الفلاحين واسمه فكتور (٢٧ عامًا) بمرض خطير في الرئتين، مصحوبًا بآلام مبرحة في الصدر ومنطقة أسفل الظهر وأثناء عملية المسمرة دُهش المركيز مما رأى، فقد راح الفتى في نوم هادئ ومريح خالٍ من التشنجات المعتادة، علمًا بأن فكتور لم يسمع بهذه التشنجات إطلاقًا.

وازدادت دهشته حين انطلقت شفتا الفتى بالكلام، فأدرك المركيز عظمة الظاهرة الجديدة، وانتقل إلى اختبارها وأطلق عليها اسم (السرنمة)، نسبة إلى حالة السائر أثناء النوم، واكتشف – أيضًا – إمكانية تحويل فِكر المريض من حالة القلق إلى حالة الهدوء والسكينة،

ولاحظ أيضًا حالة النسيان التي تخلفها الحالة الجديدة بعد الاستيقاظ، أما فكتور فقد امتثل لأوامر الطبيب وتجاوب كلّيًّا، فتصوَّر نفسه سابحًا فوق الغيوم، وكأنه في حلم رائع ففارقته أوجاعُه.

أُعجب دي بويسيكور بالحدث المميز، وبالرغم من كون فكتور فلاحًا بليدًا، لم يُظهر أيَّة علامة ذكاء في حياته، فإنه وتحت تأثير الحالة الجديدة أظهر ذكاءً خارقًا، حتى أنه بدأ يقرأ أفكار الآخرين.

وأكثر من ذلك، وهنا كانت المفاجأة، فقد أعطى وصفًا دقيقًا لعلاج مرضه، والمدهش – حقًّا – كان نجاحَ العلاج مائةً بالمائة.

السرنمة،!

إن علم التنويم الحديث، مَدين بالكثير الكثيرِ للمَركيز دي بويسيكور، لأنه أول من عرض وعرَّف بالنوم التخشيبي، الذي هو عكس بدعة مسمر مفجِّرةِ الدموع والأحزان والصراخ والتشنج.

وهكذا توصل المركيز إلى نقل مرضاه إلى حالة من النوم الهادئ المريح، لقد سعى مسمر وراء الشهرة والاستعراض، أمّا المركيز فقد أعرض عنها.

– وهنا يبرز سؤال: هل صادَف أو عرف مسمر هذه الحالة،؟!

– بالطبع لا؛ لأنه لو تعرَّف عليها لأطْلَع تلاميذَه.

إذًا، فالغَشية التنويمية هي من اكتشاف دي بويسيكور، فهو أول من توصَّل إلى النوم التخشيبي، وهو الذي قال بأن حالة شبيهة بالنوم، يمكن إحداثُها عند إنسان واعٍ تمامًا، وبيَّن أيضًا أن أفكار وتصرفات المرضى، خاضعة لتوجيهات ممارس التنويم.

- **لابد هنا من الحديث عن اثنين توصلا إلى حالة النوم:**

الأول، هو: الأب (فاريا) البرتغالي، الذي تعلَّم التنويم خلال وجوده بالهند، ففي السنة التي توفي فيها مسمر، تركَّز حول العالم، اهتمام بالغ على أنباء شفاءات شبه عجائبية حصلت على يد القس (فاريا) فكان يضع مرضاه في حالة نوم، بالنظر إليهم بتركيز، وقد أثارت كتبُه عن التنويم ضجة في باريس، فهو من أوائل الذين استعملوا التنويم الاستعراضي المعروفَ بالتنويم المسرحي، فكان يعطي الوسيط ملفوفةً موحيًا له بأنها تفاحة وكان الوسيط يتصرف

تمامًا كمن يأكل تفاحة فعلًا، وعن الصحّة والمرض، كتب يقول: أن الوسيط صحيح الجسم يتحوّل إلى عليل بالكلمة، وبالعكس نلاحظ أن الأب (فاريا) عرف قيمةَ الإيحاء، لكنه لم يَلق الاعتراف اللائقَ به.

والثاني: للأب (جاسنر)، فبينما كان المديح يُكال للمركيز دي بويسيكور على إنجازاته كانت أعمال الأب (جاسنر) تثير الرعب في جنوب ألمانيا، بسبب علاجاته الاستعراضية، فأخباره كانت أشبهَ بقصص ألف ليلة وليلة، ومن أغربها حادثة شفاء فتاة شهد لها طبيبُ القرية.

فذات يوم دخل الأب (جاسنر) غرفتَه المغطَّاة بالستائر السوداء، حيث كانت الفتاة المريضةُ، وبعض الشهود من بينهم طبيب القرية، وبصوت جَهْوري وباللغة اللاتينية أمر ذراعَ الفتاة بالكف عن الحركة، فيبست، ثم أمرها بالحركة فارتعشت، فأمرها بالعودة إلى حالتها الطبيعية فعادت.

وحتى يؤثر على الحضور أبلغَ الفتاةَ بأنها ستُّجن، وبالفعل أظهرت الفتاة كلَّ أعراض المسّ الجنوني، حتى أنها انبطحت أرضًا، وأخذت تركض على أطرافها الأربعة كالحيوانات وبصوتٍ كالرَّعد أمرها بالهدوء فسكنت.

ولم يكتف القس بذلك، بل عمد إلى توجيه أمره إلى نبضات قلبها بالإبطاء فانصاعت فأكد له ذلك الطبيبُ ثم أمر النبضات ثانية، لكن هذه المرة بالإسراع فأسرعت، وقال الطبيب بأنه كانت تضرب خمسين مرة في الدقيقة زيادةً عن معدلها.

عندها وقف الأب (جاسنر) مادًّا ذراعيه، وأبلغ الفتاة بأنها ستموت مؤقَّتًا، وعليها ألا تخاف، لأن قوته الخارقة ستعيد الحياةَ إلى جسدها العليل، ظهرت حبَّات العرق على جبين الطبيب الجاثي قربها، حين لفظ نتيجةَ فحصه لها، قائلًا: بأنها ماتت، برأي الطبيب قابل الأب (جاسنر) هذا الموقفَ بابتسامة الواثق من نفسه، ولفظ الكلمات التي أعادت إلى جسدها

الحركةَ تدريجيًّا، ولما عادت إلى وعيها الكامل، قفزت فرِحةً بزوال الأعراض المَرَضية والأوجاع.

جيمس، صاحب مصطلح التنويم !

لفت المركيز دي بويسيكور، نظرَ العالم إلى النوم التخشبي، وأيقظ في الكثيرين رغبةَ البحث العلمي، أما الدكتور (جيمس برايد) فهو الذي أعطاه اسمه الحالي، ويعود الفضل إليه في إدخال التنويم مجالَ الطب، ويعود الفضل – أيضًا – إلى غيره ممن سنأتي على ذكرهم:

- في سنة ١٨٤١م كان (لافونتين) يجول بريطانيا، مقدمًا عروضه في المسمرية، وقد حضر إحدى هذه الحفلات الدكتور (جيمس برايد)، وكلّه ثقةٌ بأن المسمرية دجلٌ وكان في نيَّته فضحها، لكنه وجد نفسه أمام الظاهرة بحقيقتها، غيرَ مصدق لنظرية السائل السحري، وأن أهم ما لفت نظره جفون الوسيط المرتجفة، وانقلاب بؤبؤ العين إلى فوق، والارتخاء العضلي لدى الوسيط،
- وكونُ (برايد جراحَ) عيون ساعده كثيرًا على تكوين فكرته الأولى عن محدث النوم، فمراقبته للوسطاء المنوِّمين رسَّخت لديه فكرةَ المسبِّب الفيزيولوجي، فالإرهاق المستمر لحاسة البصر يشد مراكزَ العصب البصري، مفسحًا المجال لحالة شبيهة بالنوم، ولا زالت هذه الفكرة شائعةً بين الكثيرين من الأطباء.
- ولما عاد برايد إلى منزله بعد العرض الثاني، طلب إلى أحد أصدقائه التحديقَ بعنق إناء لامع، تجاوب الصديق وراح في نومٍ عميق مريح، سُرَّ الدكتور (برايد) بالنتيجة، وتشجَّع فكرَّر التجربة، وهذه المرّةَ مع زوجته التي تجاوبت أيضًا، وحصل على نفس النتيجة حين راحت الزوجة في نوم هادئ عميق، وهكذا تأكد لبرايد أن إرهاق البصر هو الباعث على النوم.

من هاتين التجربتين انطلق التنويم العلمي فدخل مجالَ الطب، كان برايد عالمًا ومختبرًا ولم يكن ذلك الدجالَ، فهو أول من اشترط الوسائل الفيزيولوجية في استحداث التنويم، وهو الذي أعطى هذا العلم اسمَه الحالي.

وبعد مرور بعض الوقت اكتشف برايد، أن الحالة الجديدة ليست نومًا بالمعنى المتعارَف عليه، فحاول استبدال كلمة"hypnotism" بالاسم الجديد "monoideaism" وحدانية التفكير، أو النوم العصبي أو "الهيبنوتزم".

لكنه تأخر؛ لأن الكلمة الأولى كانت قد دخلت معاجم اللغة، أما لماذا لازلنا نستعمل كلمة تنويم مغناطيسي؟، فذلك يعود إلى اقتناعنا بأن للمغناطيس تأثيرًا، ولأننا لم نقم بأي جهد علمي فعَّال لاكتشاف ورفع الظلم عنه.

ولقد أطلق (جيمس برايد) على طريقته الجديدة، مصطلح: (التنويم Hypnosis)، اشتقاقًا من كلمة إغريقية تعني: النوم، وهذه الكلمة هبنوس، تعني – في الأصل –: رب النوم عند الإغريق.

التنويم المغناطيسى كما ذكرنا "Hypno" كلمة يونانية تعني: النوم،وكلمات Hypnotism Hypnotist،Hypnotic ، كلها كلمات استخدمت للمرة الأولى من قِبل"J. Braid ".. فى عام ١٨٤٣م في كتابه : "Neurology" ..

ويعود استخدام التنويم المغناطيسى فى ميدان العلاج النفسى إلى الألمانى مسمر " Franz Mesmer"، الذى رسَّخ نظرية التنويم الغناطيسى العلاجى، وأسماه Magnetisme "Animal"، أي: المغناطيسية الحيوانية.

وبذلك يكون جيمس برايد، هو أولَ من استخدم مصطلح «التنويم»، لهذه الطريقة العلاجية، التي يمكنه من خلالها إحداثُ حالة من النعاس، يغلق فيها المريض عينيه وتسترخي عضلاته، ويكون فيها قابلًا للإيحاء بدرجة كبيرة.

بالإضافة إلى ذلك فلقد حقق جيمس برايد نتائج إيجابية، تماثِل نتائج مسمر لكنه تميَّز عنه بعدم إصابة مرضاه، أثناء الجلسات العلاجية بنوبات الهياج والصرع الهستيري، التي كانت تنتاب مرضى مسمر.

لم تنقطع اختبارات برايد المبنيةُ على أساس المسبِّب الفيزيولوجي، إلى أن توصل إلى مسبب أكثر فعالية، ألا وهو الإيحاء، ذلك بعد أن تمكن من تنويم رجل أعمى، وهكذا تأكد له أن الإيحاء، هو العماد الأساسي لاستحداث التنويم.

وبقوة الإيحاء، لجأ برايد إلى تخدير مرضاه لإجراء العمليات الجراحية، وقد لاقى النجاحَ كغيره ممن عاصروه، وكغيره ممن أحرزوا تقدمًا سابقًا لزمانهم، قُوبل بالرفض والاعتراض من قبل الأطباء، وبالذات من قبل الجمعية البريطانية لتقدم العلوم – قسم الطب – حين عَرض أن يقرأ عليهم نتائج أبحاثه، لكن بعض الأطباء ممن اقتنعوا بصحة نظرياته لبَّوا دعوته الخاصةَ، واستمعوا إلى آرائه، علمًا بأن غالبية عُظمَى من الأطباء عارضته بشدة، كذلك ارتفع بالمعارضة صوت المتحمسين للمغناطيس الحيواني والمسمرية.

وبعد برايد، لم يكن مصير الدكتور (جون أليوتسن) بأفضل، كان هذا الطبيب يحضِّر مرضاه للعمليات الجراحية بواسطة المسمرية والمغناطيسية، ليحصل على عدم الإحساس «التخدير»، لم يكن المخدر الكيميائي قد اكتُشف.

وبعد ذلك، حدث الشيء الأسوأ للدكتور (جايمس أزديل)، وهو الصديق الشخصي للدكتور برايد، فقد كُفَّت يده عن ممارسة الطب من قِبل الجمعية الطبية البريطانية .

كان جايمس أزديل طبيبًا بريطانيًّا، موظفًا من قبل شركة شرق الهند البريطانية في كلكتا، وكان من المتحمسين للمسمرية، فقد أجرى سنة ١٨٤٠م العديد من العمليات الجراحية بواسطة المخدر الفكري.

وبعد ثلاث سنوات توصَّل إلى إقناع الحكومة البريطانية، بإنشاء مستشفى في كلكتا للمعالجة بالمغناطيسية والمسمرية، لأنه في البداية تحمس كثيرًا للمسمرية لذا استعملها، لكنه

عاد واقتنع بأسلوب الدكتور برايد فاستعمله، فلقد أجرى آلاف العمليات الجراحية الناجحة بالمخدر التنويمي، منها ثلاثمائة عملية كبرى، تسع عشرة منها عمليات بتر ساق وبعضها عمليات إزالة أورام. وكلها بدون ألم.

وبعد فترة من الركود – بعد عهد مسمر-- امتدت نحو قرن من الزمان، عاد العلاج بالتنويم ليحتل مكانتَه من جديد في فرنسا، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي على يد طبيب الأعصاب الفرنسي (جين مارتين شاركوت Jean Martin Charcot)، الذي استطاع أن يميِّز بين الشلل الهستيري، والشلل الناتج عن خلل الأعصاب.

ولقد كان جين مارتين شاركوت مهتمًّا بدراسة تأثير المعادن على الأمراض، وكذلك بالعلاج بالتنويم، كما كان يعتقد أن اضطرابًا هستيريًا، يحدث بسبب وجود اختلال مرضي في جسم الإنسان، وأن العلاج بالتنويم يؤدي إلى حدوث تغيرات فسيولوجية لدى هذا المريض.

ولقد أدى تفسير هذه الظاهرة بأسباب عضوية، إلى استعادة العلاج بالتنويم لمكانته بشيء من الاحترام والتقدير،لكن ذلك الاعتقاد لم يدم طويلًا، حيث قدَّم أستاذ في الطب الباطني، كان معاصرًا لجين مارتين شاركوت، اسمه (هيبولايت بيرنهيم Hippolyte) Bernheim، فرضيتَه بأنه ليست هنالك أية عوامل عضوية، تكمن في العلاج بالتنويم، وإنما هو استجابة نفسية للإيحاء.

كما استطاع – أيضًا – أن يحقق النتائج التي حققها أسلافه، من خلال الإيحاء فقط دون الحاجة إلى تنويم المريض، الذي لم يكن يراه ضروريًّا لحدوث الأثر الفعال للعلاج.

وبذلك يتبين لنا أن الأزمة المسمرية (النيمية)، وطريقة جيمس برايد في العلاج بواسطة التنويم، وكذلك اعتقاد شاركوت بالتغيرات الفسيولوجية، التي تحدث للمريض عند العلاج بالتنويم، إنما ترتبط بشكل خاص بتوقُّعات المعالج والمريض، والتي نبعت – أساسًا – من البيئة الاجتماعية التي عاصروها، ومن الظواهر التي شاهدوها.

فرويد، والأسلوب الجديد،!

وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ظهر طبيب الأعصاب الفرنسي الكبير (جاركوت)، الذي كان أستاذ فرويد الطبيب النفسي الشهير، واستعمل التنويم المغناطيسي في علاج كثير من الحالات العصبية، التي كانت تواجهه، وتعلم فرويد منه استخدامَ هذه الطريقة في العلاج، ولكنه ترك هذا الأسلوبَ بعد اكتشافه نظرية «التحليل النفسي» وانغماسِه فيها إلى نهاية حياته.

ولعل أهم نقطة تحوُّل في تاريخ ممارسة التنويم، قد جاءت عن طريق فرويد، فقد تيسَّر له في مطلع عمله الطبي، الحصولُ على منحة دراسية إلى فرنسا للاطلاع على أساليب (شاركوا) العلاجية، وقد مكنته هذه الفرصة من التتلمذ على يد (شاركوا)، الذي كان يمارس التنويم الإيحائي، في علاج بعض الحالات المرضية الهستيرية.

وقد قال فرويد: لقد حصلت على أعمق الانطباعات، بوجود عمليات عقلية قوية والتي مع ذلك تظل خفيةً عن وعي الإنسان، وبهذا الانطباع انفتح عهد جديد من النظر إلى الأمراض النفسية بأسبابها وعلاجها.

وراح فرويد يمارس التنويم في محاولة التوصل إلى هذه القوة العقلية الخفية، وراء الوعي وإظهارها وإطلاقها، وهو بذلك لم ينظر إلى عملية التنويم من خارجها، وإنما ركَّز اهتمامه إلى القوة المغمورة والمنْسيَّة والمكبوتة من حياتنا العاطفية، والتي يُفضي بها المريض أثناءَ التنويم،

ومالبث فرويد أن تخلَّى عن التنويم لا لشيءٍ، وإنما لأنه لم يكن بارعًا أو ناجحًا في إحداث حالة التنويم، وراح - بدلًا من ذلك - يحاول سبر أغوارِ لا وعي مرضاه بطريقة «التداعي الحر»، وهي الطريقة التي ارتبطت بفرويد وبأسلوبه، في عملية التحليل والعلاج النفسي.

ومع ذلك فقد أضاف الطبيب النمساوي (سيجموند فرويد ١٨٥٦ – ١٩٣٩م)، أسلوبًا جديدًا للعلاج بالتنويم، حيث لم يَقْصُره على إزالة الأعراض فقط، وإنما استخدمه

أيضًا لمساعدة المريض على تذكُّر الأحداث الماضية، التي ربما تكون هي الخلفيةَ لما يعانيه من أعراض، وبذلك يمكنه تحديد أصل المشكلة، فيقوم باتخاذ العلاج المناسب لها، ولقد نجح سيجموند فرويد في ذلك نجاحًا ملحوظًا، وتبعه في ذلك مجموعة من المتخصصين.

موجات الدماغ !

مع تقدم العلم وتطوره وتزايُد البحوث والدراسات، ثبت لدى العلماء أن هناك علاقة وثيقة بين التنويم وبين موجات الدماغ، وأنه لابد في حال التنويم أن يصدر من الدماغ درجةٌ معينة من الموجات، وفيما يلي بعضُ الإشارات لتلك العلاقة:

يوجد في القشرة المخية حوالي عشرة بلايين من الخلايا العصبية، وكل خلية منها قادرة على ممارسة جميع التغيرات الكيماوية والكهربية، التي تقترن بنقل الانبعاثات العصبية، وإذا عجزت فمعنى هذا العجز أنها ماتت.

ومثل هذه الخلايا الخاصة لاتنقل انبعاثًا عصبيًّا، إلا إذا نُبِّهت، ولاتعاني تغيرات في جهدها الكهربي الكامن، إلا في هذه الأحوال، ولعل ذلك لايكون إلا في فترات متقطعة، بَيْدَ أنه لا تمضي لحظة دون أن يكون عدد لابأسَ به من البلايين العشرة من هذه الخلايا، في حالة إطلاق لشحناته، وعلى ذلك فإن المخ بأسْره يكون نشطًا على الدوام.

ففي الأحوال العادية يتواصل انتقال الأحاسيس إلى المخ، كما تتواصل الانبعاثات الحركية من المخ إلى الأطراف، وحتى لو لم يوجد كثير من هذه الأحاسيس، كما لو كان المرء محاطًا بالظلمة والصمت، أو لم يكن من حوله شيءٌ يُشَمُّ أو يذاق، أو كان يسبح معدومَ الوزن في الفضاء لا يشعر بشيء، فإن بعض الأحاسيس الناشئة من عضلاته ومفاصلة تمثل عاملًا ينبئ صاحبه بالموضع النسبي لجسمه وأطرافه، وحتى لو كان راقدًا في حالة استجمام تام ولايحرك عضلة من عضلاته، فإن قلبه لاينبئ عن ضخ الدم، وعضلات صدره لاتنقطع عن صيانة التنفس.

وما من عجب إذن، في أن يكون الدماغ في كل الأوقات، سواء أكان صاحبه نائمًا أم مستيقظًا، مَبْعَثًا لشحنات كهربية مختلفة، وسواء في الإنسان أو الحيوان.

ولقد كان أول اكتشاف لهذه الشحنات سنة ١٨٧٥م، وكان مكتشفَها عالم الفسيولوجيا الإنجليزي (ريتشارد كانون)، فقد مسَّ مُخّ كلب حي كان يجري التجارب عليه بقطبين كهربيين، ليرى مايحدث، واستطاع أن يتبيَّن - بصعوبة - التيارات الضعيفة لهذه الشحنات،

وخلال نصف القرن الذي تلا ذلك، تحسَّنت - إلى حد كبير - طرق اكتشاف تلك التغيرات الطفيفة في الجهد الكهربي للدماغ، وتكبيرها.

وفي العشرينيات من القرن العشرين أمكن اكتشاف هذه التيارات، حتى من خلال طبقات الجلد والعظام، التي تكسو الدماغ.

وفي سنة ١٩٢٤م وضع الطبيب النفساني النمساوي (هانز برجر) القطبين الكهربيين على فروة الرأس البشرية، ووجد أنه يستطيع باستعمال "جلفانومتر"، أن يكتشف هذه الجهود الكهربية ببعض الصعوبة، ولم ينشر بحثه إلا سنة ١٩٢٩م.

ومنذ ذلك التاريخ أدى استعمال أنواع أرقى من الأجهزة، إلى جعل قياس هذه التيارات شيئًا عاديًّا يعمل كل يوم، ويسمى هذا الإجراء بـ«الرسم الكهربي للدماغ»، كما يسمى تسجيل التخطيطي للجهود الكهربية المتذبذبة بـ«المخطط الكهربي للدماغ».

وتقع قوة الجهد الكهربي للأمواج الناشئة في المخ، وقد لاحظ برجر أن الجهود الكهربية للمخ كانت تتذبذب على منوال منتظم، وإن لم يكن إيقاعها بسيطًا، ولكنه مركب من عدد من الأنماط المشتركة في إحداث هذه الأمواج.

ولم يفقد العلاج بالتنويم مكانتَه بعد ذلك، فلقد عاد الاهتمام به ثانيةً أثناء الحربين العالميتين، لعلاج تلك الأعراض العصبية، التي أصابت بعضًا من الناس.

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية، قام العلماء بإجراء بعض الدراسات، التي تميَّزت بمنهجيتها، وإعادة تقييم الاعتقادات والظواهر السابقة، وتطوير تقنيات أفضل لتقييم مستوى الاستجابة لهذا النوع من العلاج، وما يزال العلم يأتي لنا كلَّ يوم بأمر جديد،

وحين ظهر العالم النفسي (ميلتون إيركسن) في سنة ١٩٦٧م، استخدم هذه الظاهرة بطريقة مدروسة لعلاج المرضى النفسيين، وجعلها جزءًا من العلاج النفسي.

والجدير بالذكر، أن كثيرًا من المصادر العربية، مازالت تطْلق على هذه الطريقة العلاجية، مصطلحَ التنويم المغناطيسي، وفي الحقيقة إنه من الأصوب - في رأيي - حذف كلمة المغناطيس من المصطلح، واستبدالها بما هو مناسب، مما يمكن أن يتفق عليه المتخصصون في هذا الأمر.

ابن القيّم، له السبْق !

ولعل من يقرأ كلام الإمام ابن القيم ﷺ يدرك أنه قد سبق من أسْلَفْنا ذكرَهم، في الحديث عن دور قوة النفس عند المريض والمعالج، في شفاء بعض العلل والأمراض والأسقام، بل وقد تميَّز عنهم، بأنه قد ربطه بصدق التوجه إلى الله - تعالى، وإقبال الروح إلى فاطرها، وهو ما يمكن تسميته بـ«قوة الروح»، وهي صدق الإيمان، وبذلك يكون ابن القيم ﷺ قد جمع للمريض بين قوة النفس وقوة الروح.

يقول ابن القيم ﷺ: وقد عُلم أن الأرواح متى قويت (قوة الروح)، وقويت النفس والطبيعة (قوة النفس)، تعاونا معًا على دفع الداء وقهره، فكيف يُنْكَرُ لمن قويت طبيعته ونفسه وفرحت بقربها من بارئها، وأُنسها به وحبها له وتنعُّمها بذكره وانصراف قواها كلِّها إليه، وجمعها عليه واستعانتِها به وتوكلها عليه، أن يكون ذلك لها من أكبر الأدوية، وتُوجب لها هذه القوةُ دفعَ الألم بالكلية، ولا ينكر هذا إلا أجهلُ الناس وأعظمهم حجابًا، وأكثفهم نفسًا وأبعدهم عن الله وعن حقيقة الإنسانية.

ويرى الإمام ابن القيم ﷺ في شأن علاج صرع الجن وعلاج هذا النوع (صرع الجانّ) يكون بأمرين؛ أولهما: أمر من جهة المصروع، وثانيهما: أمر من جهة المعالج؛ فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه (قوة النفس)، وصدق توجهه إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها (قوة الروح)، والتعوُّذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان، فإن هذا نوع من المحاربة.

- **والمحارب لا يتم له الانتصافُ من عدوّه بالسلاح إلا بأمرين.**

أولهما: أن يكون السلاح صحيحًا في نفسه جيدًا (قوة الروح)، وأن يكون الساعد قويًا (قوة النفس)، فمتى تخلَّف أحدهما لم يغنِ السلاح كثيرَ طائل، فكيف إذا عُدم الأمران جميعًا؟!، بالطبع سيكون القلب خرابًا من التوحيد والتوكل والتقوى والتوجه، ولا سلاحَ له،

وثانيهما: من جهة المعالج بأن يكون فيه هذان الأمران أيضًا (قوة النفس، وقوة الروح) حتى إن من المعالجين من يكتفي بقوله: أُخرج منه ، أو بقول: بسم الله، أو بقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ويقول ابن القيم ﷺ في شأن العين، بعد ذكره الدعواتِ والأذكارَ في علاجها: ومن جرَّب هذه الدعوات والعوذ، عرف مقدار منفعتها وشدةَ الحاجة إليها، وهي تمنع وصول أثر العائن وتدفعه بعد وصوله بحسب قوة إيمان قائلها (قوة الروح)، وقوة نفسه واستعداده (قوة النفس)، وقوة توكُّله وثبات قلبه، فإنها سلاح، والسلاح بضاربه.

والذي يبدو أن ابن القيم ﷺ قد استفاد في فكرته، عن دور قوة النفس ممن سبقه من علماء الإغريق، إلا أنه قد طورها بأن أضاف إليها قوةَ الروح، يقول ﷺ: وعقلاء الأطباء معترفون بأن لفعل القوى النفسية وانفعالاتها في شفاء الأمراض عجائبَ، وما على الصناعة الطبية أضرُّ من زنادقة القوم وسَفِلَتهم وجهَّالهم.

ولعل ابن القيم ﷺ بفعله ذلك، يقدم نموذجًا حيًّا للباحث المسلم بتميُّز شخصيته وعَرضه وصَقله لكل مستجَدَّات العلم، حسب توجيهات الخالق ﷻ، الذي علَّم الإنسان ما لم يعلم.

كما كتب ﷺ في كتابه (زاد المعاد)، فصلًا في هديهِ ﷺ، في علاج المرضى بتطييب نفوسهم وتقوية قلوبهم، ذكر فيه: ما رواه ابن ماجه في سننه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ {إذا دخلتم على المريض، فنفِّسوا له في الأجل، فإن ذلك لا يرد شيئًا، وهو يُطيِّب نفسَ المريض}.

قال ابن القيم ﷺ في تعليقه على هذا الحديث: وفي هذا الحديث نوع شريف جدًّا من أشرف أنواع العلاج، وهو الإرشاد إلى ما يُطيِّب نفس العليل من الكلام، الذي تقوى به الطبيعةُ، وتنتعش به القوة، وينبعث به الحارُّ الغريزي، فيتساعد على دفع العلة أو تخفيفها الذي هو غاية تأثير الطبيب.

إن تفريح نفس المريض، وتطييبَ قلبه وإدخالَ ما يسره عليه، له تأثير عجيب في شفاء علته وخفتها، فإن الأرواح والقوى تقوى بذلك فتساعد الطبيعةَ على دفع المؤذي.

ولقد رُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقرأ الفاتحة على المريض فيُشفى، فجاء رجل فقرأها على مريض وأعادها ولم يتحسن المريض، فقيل له: إنها الفاتحة، ولكن أين عمر..؟!!.

قال ابن القيم ﷺ: ومكثتُ بمكة مدةً يعتريني أدواء، ولا أجد طبيبًا ولا دواءً، فكنتُ أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيرًا عجيبًا، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألَمًا، فكان كثير منهم يَبرأ سريعًا.

ولكن ها هنا أمر ينبغي التفطُّنُ له، وهو أن الأذكار والآيات أو الأدعية، التي يُستشفى بها ويُرقى بها، هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعي قبولَ المحل وقوة همة الفاعل وتأثيرَه، فمتى تخلَّف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المنفعل، أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواءُ.

كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية أيضًا، فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول طبيعة الشخص المريض لذلك الدواء، وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه أثرَه، فإن الشخص المريض إذا أخذ الدواء بقَبول تام، كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول،

فكذلك القلب إذا أخذ الرُّقى والتعاويذَ بقبول تام، وكان للرَّاقي نفسٌ فعَّالة، وهمة مؤثرة أثَّر في إزالة الداء دون شك.

وقال ابن القيم ﷺ أيضًا: إن على الطبيب أن يستعمل أنواع العلاجات الطبيعية والإلهية والعلاج بالتخييل، فإن لحذّاق الأطباء في التخييل أمورًا عجيبة، لا يصل إليها الدواء، فالطبيب الحاذق يستعين على المرضى بكل معِين

مفاهيمُ خاطئة،!

إن التنويم المغناطيسي.. ظاهرة يكتنفها كثيرٌ من الغموض والأسرار؛ لذا سنحاول معكم أن نشرح ونفسر بعضَ المفاهيم الخاطئة عنها:

- أوَّلًا، إن التنويم المغناطيسي، هو نوع من النوم، حيث يشير تخطيط رسام المخ الكهربائي، على أن هذا المخ يظل في حالة يقظة تامة، أي أن شكل التخطيط يكون بشكل "ألفا"، بموجات تتراوح من ٨ إلى ١٢ موجة في الدقيقة، وهو ما نراه في حالتي اليقظة والوعي الكاملين.
- ثانيًا، التنويم: هو عملية يقوم بها الشخص المنِّوم، ليؤثر خلالها على المريض، ويُدْخِله في حالة نوم أو غيبوبة مغناطيسية، فهذه عبارة غيرُ صحيحة، لأنه لا يوجد هناك شخص يؤثر على الأشخاص الآخرين، ويجبرهم أو يدفعهم إلى حالة نوم مغناطيسي، فكل ما هنالك، أن الشخص المستعِد لأن يُنوَّم تنويمًا مغناطيسيًّا يجعل نفسه قابلًا لإرشادات وتعاليم الشخص المنوِّم، ويدخل بعدها فيما يُسَمَّى (حالة غيبوبة مغناطيسية)، وهناك اختلاف كبير جدًّا بين شخص وآخر، حسب استعداده لتقبُّل التنويم المغناطيسي.
- ثالثًا، الأشخاص ضعيفو الشخصية، والمختلون عقليًّا، يكونون ذوي قابلية عالية للتنويم المغناطيسي، هذه العبارة أيضًا خطأ.

- صحيح أن بعض المصابين ببعض الحالات النفسية، خصوصًا العصبية مثل حالات الهستيريا، قابليتهم للتنويم عاليةٌ، ولكن معظم المصابين بالأمراض النفسية الشديدة الذهنية، مثل الشيزوفرانيا ومرضي الهوس والاكتئاب الشديد، تكون قابليتهم ضئيلة جدًّا للتنويم، وأحيانًا غيرُ ممكن تنويمهم.
- رابعًا، التنويم المغناطيسي.. هو علاج في حد ذاته لبعض الأمراض أو الحالات النفسية، هذه العبارة خطأ كذلك، إذ أن الدخول في الغيبوبة في حد ذاته، لا يشكل أي علاج لأية حالة نفسية، ولكن الطبيب النفسي الخبير، يستطيع استخدام هذه الغيبوبة، بحيث يُعطي المريضَ بعض الارشادات والنصائح، التي يمكن استخدامها لتحسين حالته النفسية.
- خامسًا، التنويم المغناطيسي خطر على الصحة . هذه الفكرة خاطئة جدًّا، فلا وجود لأي رد فعل عكسي، أو خطورة بأي شكل كانت، من الدخول في الغيبوبة المغناطيسية، وقد يستغلها بعضُ الأشخاص لأغراض خبيثة، وهذا الضرر لا يأتي من التنويم في حد ذاته، ولكنه يأتي من الشخص الذي يستغل هذه الظاهرة لأغراضه الشخصية.
- وكثيراً ما يُمارَس التنويم المغناطيسي من قبل أناس، لا علمَ لهم بأن ما يمارسونه هو نوع من التنويم المغناطيسي، مثال ما نراه في فقراء الهنود من أنه يستطيع أن يمشي على الفحم الملتهب، أو يتحمل طعنات سكين حاد من دون أن يصاب بأذًى و تأثير جسمي منه، وكذلك ما نجده لدى الممارسين من ضرب السيوف في بعض أجزاء الجسم.
- إن هناك ما يثبت أن العقل، قد يدخل في حالات خاصة تشبه الغيبوبةَ المغناطيسية، يُغيِّر فيها من طبيعة تقبُّل الجسم المادي للمحيط الفيزيائي الخارجي.

ويمكن تقسيم صفات أو طبيعة الشخصية، إلى ثلاثة أنواع من الشخصيات حسب قابليتهم للتنويم:

- المجموعة الأولى، تمثل الذين لديهم قابلية متدنية أو قليلة جدًّا للتنويم، ويتصفون بخاصية مسيطرة في علاقاتهم الشخصية، وعندهم شعور عميق بالمسؤولية، وفي الغالب يكونون أشخاصًا غير عاطفيين وواقعيين، ويتصفون بالاهتمام بالمستقبل.
- أما المجموعة الثانية، فهم الأشخاص الذين لديهم قابلية عالية للتنويم، وهؤلاء يتصفون بالحساسية المرهفة، ويكونون عاطفيين في معاملاتهم، ويثقون في الآخرين ثقةً كبيرة، ويتركون أمورهم تُقاد من قِبل الآخرين، فيتعلقون بالماضي وينسَون المستقبل.
- ويبقى الأشخاص من النوع الثالث، فهم الذين يقعون في موضع متوسط من القابلية للتنويم، وعادة تكون صفاتهم الشخصية في محلٍّ معتدل بين الشخصيتين السابقتين.

وفي بعض الحالات من الممكن استخدام التنويم المغناطيسي، كأحد أنواع العلاج التي تستعمل في العلاج النفسي، فأول خطوة هي في اختيار المريض الملائم، خاصة الذين يتقبلون التنويمَ بصورة سريعة، وبإمكانهم التأثُّر بها، فإن أُرشدوا إرشاداتٍ فيها نفعهم أثناء التنويم، فإنهم سوف يستفيدون أكثرَ من هذا النوع من العلاج.

كما أن طريقة الإيحاء، التي تستخدم في هذه الحالة تفيد المريض، لاستعادة أشياء وحوادث، قد تكون حدثت في طفولته، والتي سبَّبت مرضَه وباستعادة هذه الأشياء، يستطيع الطبيب تشخيصَ العلاج اللازم،

ففي علاج السمنة مثلًا، وحتى يستطيع المريض أن يقوِّي إرادته، خلال التنويم المغناطيسي ليعمل "ريجيمَ" قاسيًا، يُوحي المنوِّم إلى المريض، بأن الزيادة في الأكل هي الزيادة في مادة سامة، يضيفها إلى جسده، والواجب عليه أن يُعامِل جسده باحترام.

أما في علاج حالات القلق والخوف، فإن الغيبوبة المغناطيسية التي يوضع فيها المريض تجعله في حالة اطمئنان وسكينة عميقتين.

إن الإيحاء النفسي الشديد، الذي يتقبَّله كثير من الناس، عندما يكونون في حالة الغيبوبة المغناطيسية، من الممكن استخدامه في علاج كثير من حالات الخوف، وذلك بأن يُوحي للمريض، أن الشيء المعيَّن الذي هو خائف منه، كالخوف من بعض الحيوانات أو الأماكن العالية، لم يعد يخيفه بعد الآن وعليه أن يواجهها بشجاعة،وكذلك التقبُّل النفسي للألم، فمن الممكن جعلُ المريض أقلَّ حساسية للألم، وأكثر قدرة على تحمُّله.

إن للتنويم المغناطيسي تطبيقات عملية متعددةً في مجال الطب النفسي.. ولكنه لا يمكن أن يكون علاجًا في حد ذاته، لأي نوع من أنواع الأمراض أو العلل أو الحالات النفسية، وإنما هو بمثابة إحدى الطرق التي تسهِّل العلاج اللازم.

ويهتم حاليًا الأطباء في مختلف دول العالم المتقدمة بالتنويم المغناطيسي أوالإيحائي، لما وجدوا فيه من نتائج مذهلة، في معظم الحالات المستعصية، وخاصة في الأمراض النفسية والعصبية، ويوجد الكثير من المعاهد تدرِّسه وتخرج معالجين متخصصين، ولازلنا – نحن العربَ – ننظر إليه على أنه شعوذة وسحر ودجل.

obeikan.com